جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة

كلية أصول الدين

ومخبر الدراسات الدعوية والاتصالية ومخبر الدراسات العقديّة ومقارنة الأديان

أد/ نعيمة إدريس، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة

الملتقى الدولي حول التجديد الديني، محمد إقبال أنموذجا

عنوان المداخلة : تجديد التفكير الديني: مقارنة مفاهيمية

الماهية، الضوابط والمشكلات

تمهيد

من حكمة الله عز وجل أنه جعل من البشر من يقوم بعملية تجديد الدين بعد خاتم النبيين وفقا لمتطلبات المرحلة التي يعيش فيها، ذلك أن الدين مبني على قاعدة أنه صالح لكل زمان ومكان. ومع أهمية التجديد إلا أنه عرف اختلافا كبيرا في تعريفه بين أعلام الخطاب الديني على مر العصور خاصة في العصر الحديث باعتبارها الفترة التي ظهرت فيها قضايا الإصلاح والتجديد.

إن التجديد يشمل حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية، ونقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها، والسعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر وبين المجتمع النموذج الأول الذي أنشأه الرسول صلى الله عليه وسلم، وإحياء مناهج ذلك المجتمع في فهم النصوص والاجتهاد، كما يشمل التجديد تصحيح الانحرافات النظرية والفكرية والعلمية والسلوكية وتنقية المجتمع من الشوائب. وعليه فالتجديد لا يتعلق بأمور العقيدة لأنه لو كان كذلك لكان التجديد تغييرا للدين نفسه، لذلك ففهم كل ما يتعلق بالعقائد يتم من خلال الرجوع إلى القرآن والأحاديث النبوية والأئمة من السلف الصالح.

وبهذا فالتجديد لا يعني أبدا التخلص من القديم أو محاولة هدمه، بل الاحتفاظ به وترميم ما بُلي منه وإدخال التحسين عليه ولولا هذا ما سمي تجديدا لأن التجديد إنما يكون لشيء قديم، فالتجديد يعني تفسير وفهم جديد للدين بعدما تقادم التفسير والفهم السابق وعدم قدرته على مسايرة التطورات وتلبية الرهانات، إذن فالتجديد هو تأصيل ما يحتاج إلى تأصيل وإعادة القراءة بما يضمن تصالح مختلف القراءات من خلال إنتاج قراءة جديدة تكون قادرة على مواجهة التحديات وحل المشكلات الحالية والقادمة دون القطيعة مع الماضي. من هذا المنطلق نحاول في هذا البحث الإجابة على التساؤلات التالية:

ما المقصود بتجديد التفكير الديني؟ وفيما تتمثل ضوابطه؟ وماهي المشكلات التي أثارها فعل التجديد هذا بما أنه يوجد الرفض له جملة وتفصيلا؟

أولا: التجديد الديني:

يؤمن المسلمون أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الإلهية الخاتمة، الخالدة والعالمية، لأن الشريعة وضع إلهي ثابت، ولكي يتماشى الثابت مع مستجدات الواقع المتغير وقفت هذه الشريعة عند الثوابت والكليات والقواعد وفلسفة التشريع، وتركت للفقهاء التجديد في التفاصيل والجزئيات التي تواكب المستجدات بالأحكام المستمدة من ثوابت الشريعة وقواعدها وكلياتها.

و بما أن الإسلام رسالة خاتمة خالدة وعالمية، تناولت البشرية جمعاء وشملت كل المعمورة، فلا رسالة بعدها فهي تتضمن مميزات وخصائص تمكنها من مواجهة تحديات واختلافات الزمان والمكان وتبدل أحوال الإنسان، لكن بحكمة الله عز وجل جعل من البشر من يقوم بعملية تجديد الدين بعد خاتم النبيين وفقا لمتطلبات المرحلة التي يعيش فيها¹، ذلك أن الدين مبني على قاعدة: أنه صالح لكل زمان ومكان، ومنه ما المقصود بالتجديد الديني؟

1: مفهوم التجديد:

¹ محمود حمدي زقزوق: التجديد في الفكر الاسلامي، القاهرة، 2002، ص: 261.

لغة: نقيض الخلق و الخلق هو القديم البالي، و جدد الشيء: صيّرَه جديداً، أي صار جديداً².

بمعنى: أن التجديد هو وجود الشيء على حالة معينة، فطراً عليه ما غير حالته فجعلها بالية أو قديمة، فإذا تم إعادته إلى حالته الأولى أو مثلها قبل أن يصيبه التغير فذلك كان تجديداً له.

اصطلاحاً: لقد عرف التجديد اختلافاً كبيراً في تعريفه بين أعلام الخطاب الديني على مر العصور خاصة في العصر الحديث لأنها الفترة التي ظهرت فيها قضايا التجديد.

جاء في كتاب **مفهوم تجديد الدين:** « أن التجديد يشمل حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية، ونقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها، والسعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر وبين المجتمع النموذجي الأول الذي أنشأه الرسول صلى الله عليه وسلم، وإحياء مناهج ذلك المجتمع في فهم النصوص والاجتهاد، كما يشمل التجديد تصحيح الانحرافات النظرية والفكرية والعلمية والسلوكية وتنقية المجتمع من الشوائب.³ »

و الذي يمكن استنتاجه و التأكيد عليه مبدئياً أن كل القضايا التي تتعلق بتجديد الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي تعود في نهاية المطاف إلى قضيتين أساسيتين هما:

- حدود العلاقة الصحيحة بين العقل الإنساني والاعتقادات الدينية أي حدود العلاقة بين العقل والنقل.

- الأسلوب الصحيح لتفسير النصوص الدينية على وجه العموم والتي ترتبط بقضايا التجديد على وجه الخصوص⁴

أي طريقة و منهج التعامل في عملية التفسير التي تهدف للتجديد لها ضوابطها العقلية والشرعية معا فالقضيتان تعتمدان بصفة أساسية على تجديد الأسلوب الصحيح لاستخدام العقل بحيث لا يتعدى العقل حدوده الدينية ولا يطغى الفكر الديني على العقل.

² ابن منظور: لسان العرب، تحقيق علي بشيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988، مادة "جدد"، مجلد: 02.

³ بسطامي محمد السعيد: مفهوم تجديد الدين، ط1، دار الدعوة، الكويت، 1984، ص: 27 ص: 281

محمد حمدي زقزوق: التجديد في الفكر الإسلامي، ص: 263⁴

وعليه فالتجديد لا يتعلق بأمور العقيدة لأنه لو كان كذلك لكان التجديد تغييراً للدين نفسه، لذلك ففهم كل ما يتعلق بالعقائد يتم من خلال الرجوع إلى القرآن والأحاديث النبوية والأئمة من السلف الصالح. لذا ينبغي التأكيد على أن التجديد لا يعني أبداً التخلص من القديم أو محاولة هدمه، بل الاحتفاظ به وترميم ما بُلي منه وتحسينه، ولهذا سمي تجديداً لأن التجديد يكون لشيء قديم.

إن التجديد هو الاحتفاظ بجوهر الشيء القديم وترميم ما بُلي منه وإدخال تحسينات عليه دون التغيير من صفته أو التبديل من طبيعته مع إخضاعها للتطورات والتغيرات التي يشهدها المجتمع، فالتجديد يعني تفسير وفهم جديد للدين بعدما تقادم التفسير والفهم السابق وعدم قدرته على مسايرة التطورات وتلبية الرهانات، إذن فالتجديد هو تأصيل ما يحتاج إلى تأصيل وإعادة القراءة بما يضمن تصالح مختلف القراءات مع المستقبل من خلال إنتاج قراءة جديدة تكون قادرة على مواجهة التحديات وحل المشكلات الحالية والقادمة دون القطيعة مع الماضي.

ثانياً : ضوابط تجديد الخطاب الديني :

إن تجديد الخطاب الديني من الأمور التي لا يجب أن تتم بغير ضوابط صحيحة وواضحة خاصة أن هدف التجديد هو نقل الدين من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل، ومن أهم النقاط التي تضبط عملية التجديد:

1- كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم:

يعتبران الضابطان الأساسيان لكل تجديد، فإذا انطلق التجديد من هذين الضابطين كان داخل الشريعة محكوماً بها، أما إذا لم ينطلق التجديد منهما يعتبر خارج الشريعة ويعتبر متغيراً عنها⁵، لهذا أنزل الله عز وجل على رسولنا صلى الله عليه وسلم الشريعة فيها تبيان لكل شيء يحتاج إليه المجتمع في مختلف التكاليف التي أمروا بها، وأي اختلاف كان يرجع إلى الله ورسوله، أي إلى الكتاب و السنة ، قال

⁵ محمد بن شاكر الشريف: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط1، منشورات مجلة البيان، الرياض،

المملكة العربية السعودية، 2004، ص: 20.

تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾⁶.

2- عموم الرسالة و شمولها :

الدين الإسلامي جاء للناس كافة فهو خاتمة الديانات السماوية أو التوحيدية شامل لكل زمان ومكان، فلقد قال تعالى في هذا : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴾⁷، فهو خطاب صالح لكل البشرية ولكل زمان ومكان⁸، فلا يمكن لتجديد الخطاب الديني أن يكون في منطقة دون سواها وأن يكون لمجتمع دون سواه.

3- إتفاق الشرع مع العقل :

لا يمكن أن يوجد اختلاف بينهما، ولا يمكن تعارضهما البتة⁹، ولو وُجد لكان النص غير صريح والعقل غير صحيح، يوجد من يُرجع القدرة للعقل كله بحيث ما هو مخالف لعقولهم هو مخالف للعقل على الإطلاق لكن العقول ليست على سواء فما يقبله عقل أحدهم قد يرفضه عقل الآخر، وعلى ذلك فإن التجديد المشروع لا يمكن حدوثه إلا في ظل تقديم النص الصحيح الصريح على ما يعدونه عقلا، لأن تقلص العقل في كل أمور الدين لا يثمر التجديد المرجو أو المنتظر، فتقدم العقل دون النص هو سلخ للمجتمع من مبادئه ودينه وأخلاقه، لهذا وجب اتفاق النص مع العقل لأنه يعتبر ضابطا مهما من ضوابط تجديد الخطاب الديني.

4- إتفاق الشرع مع المصلحة :

تعتبر الشريعة الإسلامية كلها مصلحة لأن مصادرها ومواردها وقواعدها النظامية لا تخالف مصالح المجتمع، فتسعى الشريعة إلى تنظيم الأحكام والضوابط التي ترسم النماذج السلوكية للمسلم وتحدد

⁶ سورة النساء: الآية: 59

⁷ سورة الحشر: الآية: 07.

⁸ محمود حمدي زقزوق: التجديد في الفكر الإسلامي، ص: 270.

⁹ محمد بن شاكر الشريف: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ص: 23.

قيمه ومقاييسه الاجتماعية وتوضح علاقته الإنسانية¹⁰، فالشريعة تعتمد على دعائم قرآنية و ركائز نبوية لأن القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة والسنة النبوية الشارحة للقرآن المصدر الثاني وتعمل على تبين وتأكيد ما جاء في القرآن.

ثالثاً: مشكلات التجديد الديني:

يعتبر التجديد الديني في المجتمع الإسلامي ضرورة في الوقت الراهن، إلا أن هذا الخطاب يواجه جملة من العراقيل التي تعرقه عن أداء مهامه، حيث يرى بعض الباحثين أن الخطاب الديني أصبح مصدراً للكثير من المشاكل في المجتمع بدل أن يكون وسيلة لتقديم الحلول للمشاكل العالقة التي يتخبط فيها، لاسيما مع التغيرات المتسارعة ومحاولته مواكبة التطورات التي يعيشها العصر، إذ أصبح المسلمون يتوجسون منه خيفة ويحسبونه أمراً غريباً يدخل في دسائس العداة الخارجي لأنه يهدف إلى تبديل الدين وليس بتجديده

ومن هذه المشاكل نجد:

العزلة: باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فلا يمكن عزله عن الحياة الاجتماعية، لأن قوة الانتماء تسمو به إلى الانفتاح الاجتماعي، لأن منهج العزلة المعتمد من طرف بعض الأطراف في المجتمع الإسلامي يسبب تعقيدا للحياة الاجتماعية، كما أن الاعتماد على العزلة يُعبر بالضرورة عن وجود فهم سيء للطريقة المتبعة، ويؤدي إلى عرقلة نشر الدين الإسلامي كما أمر به المنهج الإسلامي الصحيح وأمر به الخطاب الرباني في الدعوة إلى دينه في كل زمان ومكان، ويعطي صورة سلبية عن الدين.

يعتبر بعض الأطراف في الخطاب الديني أن العزلة سنة الأنبياء والمرسلين وسيرة الحكماء والأولياء، إذ يرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالعزلة في زمن الفتن والفوضى كقوله: «كيف بكم بزمان يوشك أن يأتي، يغربل الناس غربلة، وتبقى حثالة الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم

¹⁰ إحسان محمد الحسن: علم الاجتماع الديني، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2005، ص: 85.

فاختلفوا وكانوا كهذا (وشبك بين أصابعه)، قالوا كيف بنا يا رسول الله؟ قال: تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتذرون أمر قومكم.¹¹ »

وعليه فالعزلة مردها انتشار الفتن والخوف من الوقوع فيها، لهذا يلجأ المؤمنون إليها من أجل أداء الفرائض والقيام بكل ماله علاقة شخصية دون التدخل في أمور العامة من أفراد المجتمع.

وهكذا نرى أن العزلة تقف أمام الدين وأمام تطور الخطاب الديني وتجديده، فهذه الفئة لا تهمهما مصلحة المجتمع ما دامت الفتن موجودة.

هذه نظرة قاصرة للدين، حيث يرى أبو الأعلى المودودي أن هذه الطائفة أصيبت بالتكشف في المعيشة والغلو في الدين والتفنن في تعليل الأمور وشدة الاعتناء بالتوافه والاهتمام المفرط بالجزئيات حتى أصبح لهم الدين الإلهي كالزجاجة النفيسة تخشى أن تنكسر، وهذا ما جعلهم يقضون أعمارهم في التحذير والحيلة حتى لا ينفلت الدين من أيديهم، ولما أخرجوا في الدين تلك المسائل الرقيقة والجزئيات الدقيقة كان لا بد أن يجمد الفكر، ويضيق النظر، وتحوز الهمة¹²، وبهذا لا يستطيع الخطاب الديني مهما كانت قوته أن يحرك فيهم ساكنا وبالتالي لا يمكن تجديده.

غير أن هذه العزلة لها مبرراتها بالنسبة لهذه الطائفة، كما ذكرها أبو الأعلى المودودي:

فالباحث في وضعية المجتمعات الإسلامية والدارس للتاريخ الإسلامي منذ القرون الثلاثة الأولى وحتى يومنا هذا يرى الانتكاسات الكبرى للمجتمع الإسلامي ويرى تراكم الأزمات المتوالية، والتحرش المتواصل من الغرب على العالم الإسلامي، ويكفي أن نذكر احتلال الدول الغربية للبلدان الإسلامية وما خلفه هذا الاحتلال من دمار شامل على كل المستويات، لهذا ترى هذه الطائفة أن مقومات التجديد

¹¹ مصطفى زماش: مزالق فهم الخطاب الديني لدى الفرق الإسلامية، مجلة: الخطاب والتواصل، العدد3، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، السنة: 2017، ص: 273

¹² أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ط2، تر: محمد كاظم سياق، دار الفكر الحديث، بيروت: لبنان، 1967، ص: 32

والتطوير من أفعال الغرب، وكل شيء من هذه الجهة يجب اعتزاله ما دامت ليس لهم القدرة على مجابته والتخلي عنه¹³.

فتجديد الخطاب الديني في ظل العزلة التي يعيشها بعض أفراد المجتمع يحتاج إلى تحرر هؤلاء من الخوف والرغبة التي تجتاحهم عند ذكر كلمة تجديد أو تطوير، لأن التجديد لا يحتاج فقط إلى توفر الشروط المعرفية والثقافية وحتى السياسية، بل يحتاج أكثر من هذا إلى الاستعداد النفسي والذهني لأفراد المجتمع للدفع بعجلة التجديد وقبولها في الفضاء الاجتماعي.

الانغلاق: ينشأ الانغلاق من الاعتقاد بامتلاك الحقيقة الكاملة أو المطلقة، فالإنسان في هذه الحالة لا يرى أهمية الانفتاح على الغير. لأنه لا ينتظر أي شيء يقدمه الآخر ويضيفه إلى الحقيقة المطلقة التي لديه، كما ينشأ عن طريق حالة نفسية توهم صاحبها بالشك في نوايا أصحاب التجديد، وفي آرائهم فلا يقبل الآخر ويفضل الانغلاق والعزلة عن المجتمع، فأما الطائفة الأولى فهي التي تدعي أنها الفرقة الناجية حسب الحديث الشريف، فهي على ما جاء في القرون الأولى هي "أهل السنة والجماعة"، حيث تنتهج سياسة الانغلاق لأن الحقيقة المطلقة موجودة في أعلامهم، ومن ليس منهم فلا يمكن الحوار معه، يتميزون عن غيرهم حتى بطريقة اللباس، أما الطائفة الثانية فقد ذكرنا سابقاً بعض أسبابها في انتهاج سياسة العزلة والانغلاق، فالخوف من كل ما هو خارجي واعتباره عدواً للإسلام والمسلمين، وأن كل ما جاء من الحضارة الغربية في مجال الدين والفكر فهو لتهديم وتدمير الدين والعنصر البشري في قيمه ومبادئه السامية¹⁴.

إن المشكل الرئيسي في دعاة العزلة والانغلاق أنهم يخطئون في التفريق بين النص الديني والخطاب الديني، فهذا الأخير هو: «ما يستنبطه ويفهمه العالم والفقير والمفكر من النص الديني أو من مصادر الاجتهاد والاستنباط المعتمدة، ويتمثل الخطاب الديني في فتاوى الفقهاء وكتابات العلماء وأحاديث الخطباء وآراء ومواقف القيادات والجهات الدينية، وهنا لا قداسة ولا عصمة، فالاجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، والمجتهد يعبر عن مقدار فهمه وإدراكه، وقد يتأثر بمختلف العوامل النفسية

¹³ محمد حمدي زقزوق: التجديد في الفكر الإسلامي، ص: 276.

¹⁴ المرجع نفسه، ص: 277.

والاجتماعية التي تنعكس على آرائه وتصوراتها»¹⁵، أضيف إلى ذلك أن الخطاب الديني قابل للنقد والتقويم لأنه انتاج إنساني، أما النص الديني فهو وحي إلهي أو تعبير عنه.

ويجمع المسلمون أن القرآن الكريم محفوظ عند الخالق وأن السنة ما ثبت صحته عن الرسول بالضوابط العلمية المقررة عند العلماء والفقهاء، فكيف للمسلم أن يتغلق على نفسه؟، وقد زوده الإسلام بمضادات ذات قيم فعالة تعالج ما قد يبتلى به من إصابات سلوكية تؤدي به إلى الهاوية، أو تنجم عنها أعراض وخيمة، ذلك لأنه توجد في لإنسان قابلية التأثير وهو يملك القدرة على التأثير، فكان لابد من صيانة قابلية التأثير لديه، لكي لا يكون مجالاً للمؤثرات الخارجية المنافية للفطرة السليمة والذوق الرفيع والكمالات الإنسانية¹⁶، ولأن الإنسان يملك القدرة على التأثير فيما حوله أصبح من الضروري أن يظل هذا الإنسان سليماً لتظل تأثيراته سليمة وصحيحة.

وعليه فهل يتم هذا بانتهاج سياسة الانغلاق على الذات أم التفتح العقلاني في الفضاء الاجتماعي؟

تعود حالة الانغلاق في المجال الإسلامي، إلى أن بعض المسلمين يرون أنه لا يوجد شيء جديد نحتاج فيه إلى الاجتهاد أو التحميد، فيذهب حسبه إلى أن المنشغلين بالعلوم الإسلامية لفرط إعجابهم بتراثنا الحافل وفرط ثقتهم بفقهاءنا أننا لسنا بحاجة إلى اجتهاد جديد، فما من مسألة إلا وجدنا مثلها عند الأقدمين، فقد اجتهدوا للواقع، وافترضوا لما قد يتوقع، فلم نعد محتاجين إلى أن ننشئ اجتهاداً بعد هؤلاء الأفاضل فما علينا إلا أن نرجع إلى كتبهم وننقب في أحشائها لنجد فيها ضالتنا والإجابة على مسألتنا¹⁷.

ليس تقليداً من شأن التراث لكن الانغلاق يعتبر تجاهلاً للواقع، والادعاء بأن التراث القديم فيه إجابات عن كل معطيات العصر الراهن، فلكل عصر مشاكله ومعطياته، وربما توجد معطيات اليوم لو سمع بها

¹⁵ حسن الصفار: الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005،

ص ص: 20-21

¹⁶ محمد حمدي زقزوق: التحديد في الفكر الإسلامي، ص: 278.

¹⁷ يوسف القرضاوي: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر، ط1، دار القلم للنشر

والتوزيع: الكويت، 1996، ص: 101

المجددون في عصرهم لحسبها من البدع والخرافات، ولما وصل عقلهم أو فكرهم في تصور ما يحدث اليوم وما يعرفه هذا العصر.

وحتى يتمكن الخطاب الديني من تحقيق أهدافه، على الخطيب استيعاب الجماهير على اختلاف مشاربهم، فالناس يختلفون اختلافا نوعيا في كل شيء: في نمط التفكير، في مستوى العيش، في مركب المزاج، في معيار الذكاء وفي كافة القدرات الحسية والنفسية¹⁸، لهذا يحتاج الخطيب الديني إلى التجديد في مضامينه ومحتوياته، فالتجديد ليس أبدا استخدام ألفاظ ومصطلحات قد لا يفهمها عامة الناس، بل التجديد يتطلب الاقتراب من القضايا والمضامين التي يواجهها الإنسان في هذا العصر، وبالتالي فالتجديد بهذا المعنى لا يتسبب في الانفصال على المجتمع والانغلاق على الذات، بل إن استخدام الأساليب القديمة هي التي تسبب الانفصام وتصبح من مشكلة الانغلاق .

الموروث الثقافي: ينبثق الموروث الثقافي للمجتمع الإسلامي من مصدرين أساسيين هما:

كتاب الله وسنة نبيه، وهنا يطرح مشكل الفهم بالنسبة لهذه النصوص أو الموروث الثقافي في فهمه للنصوص التي تحدد مجالات التجديد، وتفرق بين التنوير الغربي والتجديد الإسلامي، لأن أغلب الرافضين لتجديد الخطاب الديني يضعون أمامك أنه تنويري متأثر بالحضارة الغربية ومنبهر بها، فهناك فرق كبير بين التنوير الغربي والتجديد في الخطاب الديني، وهو ما حاول "محمد عمارة" توضيحه في كتابه: الإسلام بين التنوير والتزوير، و مما ذكر أن :

- التنوير الغربي عبارة عن حركة إحياء حضاري لا ديني، أحلت العقل والعلم والفلسفة محل الدين والوحي، بينما التجديد الإسلامي هو إحياء ديني.

- التنوير الغربي ثورة على الكنيسة والبابوية واللاهوت لينفرد إحيائها العلماني اللاديني، بمبادئ الدنيا والاجتماع البشري وال عمران الإنساني والدولة، بينما التجديد الإسلامي هو أعمال للقانون الإسلامي والسنة النبوية الشريفة، فهما القاعدة التي يجب أن تسود في حياة الفكر الإسلامي.

¹⁸ محمد حمدي زقزوق، نقلا عن: فتحي يكن: الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، مؤسسة الرسالة: بيروت، ص:

فالفرق شاسع بين الثورة على الدين المسيحي وبين سنة من سنن الدين أبلغ بها نبي الله، فهي من الموروث الثقافي الذي يجب أن يساهم في تجديد الدين والخطاب الديني، لا أن يقف عائقا يعيق تطوره وعمله في النهوض بالأمة.

- التنوير الغربي جاء ليقف بمصادر المعرفة والعلم عند سنن الكون المادي وقوانينه، رافضا أن يكون عالم الوحي والغيب مصدرا للعلم والمعرفة، بينما التجديد الديني كان دائما إسلاميا يعيد التكامل والتوازن إلى مصادر المعرفة.

ففرق بين تنوير علماني يسقط الوحي من مصادر المعرفة ومراجع العلم في حين التجديد الديني يقيم المعرفة والعلم على ساقى الوحي والوجود ويحقق تكاملهما وتوازنها.

- التنوير الغربي اعتمد على العقل والتجريب، نافيا قدرة ادراك العلم الحقيقي والمعرفة الحقة، بينما ظل التجديد الإسلامي وفيها للمنهاج الإسلامي في تكامل سبل المعرفة الأربعة: العقل، النقل، التجريب والوجدان.¹⁹

ففرق بين تنوير علماني يقف بسبل المعرفة عند المحسوس والمعقول بينما التجديد الإسلامي يفتح للمعرفة الإنسانية أبواب المطلق.

لقد أدت قراءة الموروث الثقافي من طرف العديد من الفرق إلى إلباسه نوعا من الأيديولوجية، حيث وقفت في وجه دعوات التجديد والإصلاح، علما أن العوائق الأيديولوجية ظلت محملة بعوائق ابستمولوجية تظهت بشكل كبير في كون المبادرات الإصلاحية لم تتجاوز الحقل الأخلاقي والدعوي، ولم تستطع الانتقال إلى الاستدلال العقلي والمنطقي الذي يشد من أزر التنظير السياسي والاجتماعي والفكري لمشاكل واکراهات العصر²⁰، فالتمسك بالموروث الثقافي ليس تمسكا بالكتاب والسنة بل بالقراءات التراثية للنصوص الدينية والخوف من الأجنبي والمحلي المنبهر على حد تعبيرهم بالحضارة الغربية، أضف إليها غياب القاعدة الشعبية (الدعم الجمهوري) لمشاريع الإصلاح والتجديد للخطاب الديني،

¹⁹ محمد عمارة: الاسلام بين التنوير والتزوير، ط2، دار الشروق، القاهرة: مصر، 2002، ص ص: 223-225.

²⁰ عبد الجليل أبو المجد: عبد العالي الحارث: تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، الدار البيضاء: المغرب،

2011، ص: 27.

بمعنى: إقصاء أو تهميش للفئات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي لا تنظر بعين الرضا لمشروع الإصلاح، إذ أن ضيق نطاق الاستشارات الإصلاحية أدى إلى غياب القاعدة الشعبية لعملية الإصلاح العسيرة، مما أفقدت معه عمليات تجديد الخطاب الديني إلى القاعدة الشعبية التي تشده وتآزره²¹.

فالموروث الثقافي كمشكل يقف أمام تجديد الخطاب الديني، ينحصر في المنطلق الذي يتكون منه هذا الموروث، ينطلق أولاً من : النصوص الدينية وكيف يفهمها المجتمع الإسلامي، فأصحاب ما يسمى بالنقل جعلوها مرجعاً أساسياً في تجديد وليس تجديد الخطاب الديني، لأنه حسب هذه الفئة فقد ألم الأولون بكل مشاكل العصور والأزمنة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو عائق التجديد، ثانياً: فهم هذه النصوص، ففي مجتمع واحد يوجد العديد من الخطابات الدينية، كل ينطلق من جملة من المسلمات والمبادئ التي يؤمن بها و يعتقدها، وقد لا يؤمن بها غيره.

خاتمة:

مما تقدم يمكن أن نختم بحثنا بالقول أن التجديد الديني إعادة النظر في المسائل الدينية، ووجوب القيام بمراجعة شاملة وعميقة للطرق والأساليب والصيغ التي تُعتمد في مجال تبليغ مبادئ الإسلام وأحكامه ومقاصده الشرعية، ومما لا شك فيه وجود عراقيل تقف في طريقه وتمنعه من التقدم. لكن توجد آراء مستنيرة حملت مشعل التجديد و قالت كلمتها القوية وكم أجد في هذا النص لمحمد إقبال أحد رواد التجديد الديني من لفظة ذكية ترد على دعاوى رفض التجديد حيث يقول:

«بما أننا نعتقد بالخاتمية، فنحن أكثر الناس حرية على وجه الأرض، والحرية لا تعني أن عصر الدين والخطاب الإلهي قد انتهى برحلة النبي، بل بمعنى أننا لا نرتبط بعد الآن بأي شخصية بشرية، ومن هنا فيحق لنا المطالبة بالدليل من أي شخص يطرح ادعاءً معيناً، والحكم في هذه الدعاوى والآراء هو عقلنا الجمعي، فلا يُوجد أحد يُلزمنا بحكم معين بالاستناد إلى تجربته الدينية الشخصية، فمثل هذه الظاهرة قد خُتمت إلى الأبد²²».

فالعقل البشري بختم النبوة قد حصل على منتهى الحرية، بحيث لا توجد أي شخصية تمثل مانعاً وحاجباً لفعل التجديد والاجتهاد شرط الإلتزام بالضوابط الشرعية والعقلية.

²¹ محمد حمدي زقروق: التجديد في الفكر الإسلامي، ص: 284.

²² محمد إقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام، تر: محمد يوسف، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2011، ص: 80.

كذلك مما لا شك أن هناك فرق كبير من حيث منطلقات تجديد قراءة الخطاب الديني، فشتان بين الرؤية التي تنطلق من البنية الحقيقية للإسلام نفسه من أجل البحث عن دلالاته ومكوناته وإمكاناته، الراهنة والتي تستجيب للمشكلات المطروحة والتطلعات المستقبلية باعتباره رسالة إلهية خاتمة صالحة لكل زمان ومكان ، وبين من ينطلق من خارج الإسلام من خلال الاعتماد على المناهج والآليات الغربية التي تتعارض كلية مع طبيعة الدين الإسلامي، كوسيلة لتحديث الفكر الإسلامي، وقراءته قراءة جديدة دون مراعاة خصوصية و أصالة الدين الإسلامي أكيد مثل هذه المحاولات لا علاقة لها بتجديد الخطاب الديني كما جاء في هذه الورقة البحثية المتواضعة .